كتاب مجلة " كلمة حق " (17)
هدية العدد (28) من مجلة " كلمة حق " نوفمبر - 2019



ملخص كتاب

مختصر شهادتي على الجهاد في الجزائر

(1988 - 1996)

أبو مصعب السوري

هذه السلسلة

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ .

لو أفنى الإنسان عمره في قراءة ما تكتبه الأقلام لم يبلغ أن ينهي منها إلا قدراً ضئيلاً، فالعقول لا تتوقف عن الإنتاج والمطابع لا تتوقف عن الهدير، وفي عصرنا هذا كاد الناس كلهم أن يكونوا أصحاب أقلام ولهم كتابات، فما عليك إلا أن يكون لك حساب على موقع تواصل اجتماعي فيكون قد صار لك منبر عام تكتب فيه.

ومن بين الكثير من الغثِّ قليلٌ من السمين، فأودية العقول كثيرة ونتاج الفلاسفة كغابة ضخمة متشابكة.. فالعلم النافع بالنسبة لبحور الأفكار كالدرر واليواقيت في أعماق البحار.

والعلم الذي تحتاجه أمة مهزومة مستضعفة تريد أن تنهض ليس كالعلم الذي تحتاجه الأمم في حال رفاهيتها ورخائها.. فإن أمتنا أحوج إلى فهم الدين الصافي الواضح كما نزل على محمد صلى الله عليه وسلم، وهي بحاجة إلى فهم الواقع المعاصر لتُحسِن إصلاحه بما لديها من الدين، وتحتاج إلى علوم النهوض وبناء الأمم أكثر من حاجتها إلى علوم الترف والزينة والزخارف. وفي طليعة علوم النهوض: فهم الدين والسياسة والتاريخ والعلوم الأمنية والعسكرية.. فالمكتوب في هذه الأبواب أولى بالعناية والاطلاع والدراسة من غيره.

وقد أنعم الله علينا في "مجلة كلمة حق " بفكرة أن نقدم مع كل عدد كتاباً كهدية، ونحن بين أن نستخرجه من كتاب مهم، أو أن يكون تلخيصاً لكتاب مهم، أو أن يكون ترجمة لتقرير مهم.. وهكذا، نختاره بحسب ما نقدِّر أهمية الاطلاع عليه.

ونرجو أن يعيننا القراء الكرام بترشيحاتهم ومجهوداتهم، فالباب مفتوح لكل مجهود..

نسأل الله أن يكون علما نافعا وعملا صالحا خالصا لوجهه الكريم

مجلة



ملخص كتاب

مختصر شهادتي على الجهاد في الجزائر

(1996- 1988)

أبو مصعب السوري

مقدمة

أعتقد أن التجربة الجهادية في الجزائر، من أهم تجارب التيار الجهادي في النصف الثاني من القرن العشرين ، ومن أكثر تجارب الصحوة الإسلامية المعاصرة دروسا وعبرة.

أما شهادتي هذه فهي تغطي أساسا جانبا مهمًّا من تلك التجربة، و هو علاقة أنصار تلك القضية الجهادية من الجهاديين غير الجزائريين، ودورهم في نصرة ذلك الجهاد، وتأتي أهمية هذه الشهادة بالنسبة لي من ثلاثة أوجه:

أولا: تسجيل دروس تلك التجربة الفريدة كي لا تضيع ثمار فوائدها على أجيال الجهاد القادم. **ثانيا:** من أجل إيصال الحقيقة لكل من يبتغيها عن خفايا وحقائق تلك التجربة الخطيرة الأثر. ثالثا: من أجل تبيان دوري في تلك التجربة وعلاقتي بها، ودحض ما لحق بي من تهم وتشويه لذلك الجهد الذي أفخر به وأحتسبه عند الله. وتبيان عدم علاقتي بالدور السيئ الذي لعبه بعض أنصار ذلك الجهاد في لندن.

عملت على كتابة هذه الشهادة من أجل حفظ دروس التجربة الفذة للجهاد في الجزائر، آخر تجاربنا الجهادية في القرن العشرين وأكثرها مأساوية و دروسًا ونفعًا لجيل الجهاد القادم إن شاء الله.

وألفت النظر إلى أني أعرض الأحداث في شهادتي كما هي، كما عشتها بنفسي، أو كما بلغتني عن مصادرها التي سأذكرها، متوخيا أمانة الشهادة بما يرضي الله إن شاء الله.

وأما التحليل والاستنتاج وتقييم الأحداث الوارد في شهادتي هذه، فإني أتناوله من خلال موازين منهجنا بصفتنا (جهاديين)، وهو منظور نختلف فيه مع الإسلاميين الديمقراطيين -مثل الإخوة في الجبهة الإسلامية للإنقاذ- فأرجو أن تتسع الصدور للخلاف، وأن نختلف ضمن ضوابط الأخلاق والآداب الشرعية. وأن يكون هناك فسحة للحوار والفائدة.

الباب الأول

نبذة تاريخية موجزة

كانت الجزائر جزءًا من الدولة والحضارة الإسلامية على مر العصور وتتابع الدول الإسلامية، ولما جمعت الخلافة العثمانية شتات ما تمزق من تلك الدويلات منذ القرن السادس عشر، عادت الجزائر منذ دخلها العثمانيون سنة (1546 م) لتأخذ مكانها المرموق كواحدة من أهم قلاع الإسلام في مواجهة أوربا. وكانت موانئها إحدى الركائز الهامة لسيطرة الأسطول العثماني على البحر المتوسط وجهاده لأساطيل الدول الأوربية وعدوانها الصليبي الاستعماري على بلاد المسلمين. ومع ضعف الدولة العثمانية وترهلها خلال القرن التاسع عشر ، طمعت الدول الغربية في الهجوم عليها وتقطيع أوصالها والاستيلاء على مكوناتها. وبدأت بريطانيا وفرنسا وغيرها من الدول الاستعمارية الأوربية بقضم أطراف الممالك الإسلامية، وتمكنت فرنسا بعد مؤامرات دولية من احتلال الجزائر سنة (1830).

ما إن وطئت أقدام الفرنسيين أرض الجزائر، حتى اندلعت أعمال الجهاد والمقاومة التي انطلقت من المساجد والزوايا الصوفية. وفي سنة (1832) بايعت القبائل ومشايخ الصوفية والعلماء الأمير (عبد القادر الجزائري) في وهران. فقاد الجهاد وحرر غرب الجزائر سنة (1837)، ثم أحاط بالعاصمة سنة (1840). وألقت فرنسا بكل ثقلها وبطشت بالشعب الجرائري المسلم بكل وحشية. وقضت على تلك الثورة، وقبضت على الأمير عبد القادر وسجنته، ثم نفته فاستقر في سوريا إلى وفاته رحمه الله.

ثم بدأت فرنسا سياسة الاستيطان والفرنسة في الجزائر، وحاربت اللغة العربية والهوية الإسلامية للجزائريين. ولم تهدأ المقاومة والثورات المستمرة.

ثم قيض الله للجزائر رجلا فذا هو الشيخ (عبد الحميد بن باديس)، الذي أسس (جمعية العلماء المسلمين)، التي حفظت بأعمالها التربوية والعلمية هوية الجزائر الإسلامية وعروبتها، وكونت الجيل الذي حمل لواء الثورة الكبرى التي انطلقت سنة **(1954)**. والتي استمرت إلى أن تحقق الاستقلال سنة **(1963)**، بعد أن دفعت الجزائر أكثر من مليون شهيد.

ولكن الذي حصل أن فرنسا بدهائها، بعد أن أيقنت أن استقرارها في الجزائر مستحيل، وأن الإستقلال لابد حاصل، اختارت العمل على أن يكون الأمر من بعدها لثلة من التنظيمات والأحزاب التي كان روادها قد تربوا على الأفكار الوافدة من أوربا ولاسيما من التيارات القومية والاشتراكية والليبرالية الغربية، والتي كانت قد كونت بمجموعها ما عرف باسم (جبهة التحرير الوطني) التي بدأ نفوذ الإسلاميين فيها يتضاءل مع الوقت. وهكذا حددت فرنسا من سيخلفها على الجزائر، وقيدتهم ببنود اتفاقية (إيفيان). وقال الرئيس الفرنسي ديغول أيامها:

(يريدون استقلال الجزائر؟ حسنا سنعطيهم إياها ونستردها بعد ثلاثين سنة!).

واستقلت الجزائر، وآلت رئاستها إلى (هواري بومدين)، وكان قوميا عربيا، ويساريا قريبا من الفكر الشيوعي ، وسارت الجزائر في عهده الطاغوتي البوليسي إلى الإفلاس والهاوية. وازداد نفوذ العسكر من أعضاء (حزب جبهة التحرير الوطني) الذين كان العديد منهم يحمل الجنسية الفرنسية، وأصبح هذا الحزب منذ ذلك الوقت حزب السلطة الحاكمة الأوحد. وتولى هذا التيار الذي عرف (بالتيار الفرانكفوني) مهمة حرب الإسلام وتصفية الإسلاميين في الجزائر.

وبعد هلاك بومدين خلفه الرئيس (الشاذلي بن جديد)، واستمر (حزب جبهة التحرير في سياسة الحزب الواحد، وزاد الشاذلي على سيئات سلفه سياسة العودة إلى أحضان

فرنسا، حيث كان بومدين عربيًّا ويساريًّا قوميًّا معاديًّا لفرنسا. وهكذا ازداد نفوذ التيار الفرانكفوني وكبار العسكر المتنفذين.

وازدادت أحوال الجزائر سوءا وإفلاسا رغم أنها واحدة من كبريات الدول المصدرة للنفط والغاز في العالم.

وفي مطلع السبعينيات، نهض الشيخ (مصطفى بويعلي)، يطالب حكومة الشاذلي بوقف زحف الفساد، وبالعودة بالبلاد إلى أصالتها الإسلامية ويذكرهم بمبادئ ثورة **1954** التي رفعت شعار الإسلام والجهاد، حيث كان الشيخ أحد المجاهدين الذين شاركوا فيها. ثم ما لبث الشيخ (بويعلي) أن أعلن الجهاد وأسس (حركة الدولة الإسلامية). وحمل السلاح وصعد الجبال في ثلة من أنصاره يجاهدون النظام الجزائري. ثم تمكنت الحكومة في سنة **1976** من قتله رحمه الله، واعتقلت العديد من أنصاره وساقتهم إلى السجون.

وفي أواخر الثمانينات بلغت الأزمة الاقتصادية في الجزائر مداها، وانفجر الشعب الجزائري في ثورة تظاهرات عامة عرفت بـ (مظاهرات الخبز)، وأدرك النظام الجزائري ورئيسه الشاذلي أنه لابد من إحداث تغير جذري في الأوضاع، فأعلن الشاذلي سنة **(1988)** سلسلة من الإصلاحات الشاملة كان من أهمها، إنهاء سياسة الحزب الواحد، وإطلاق المسار الديمقراطي وحرية تشكيل الأحزاب السياسية.

وهكذا أقبل الجزائريون بحماس على تشكيل الأحزاب وإنشاء الصحف، وازدهرت الحركة السياسية. وكان في طليعة الذين تحركوا بحماس في هذه الفسحة من الحرية، مختلف مكونات الصحوة الإسلامية في الجزائر والتي كانت تشهد ازدهارا مكبوتا منذ أواسط السبعينيات، شأنها في ذلك شأن باقي البلاد العربية والإسلامية التي كانت تشهد صحوة إسلامية عارمة، بعد أن بدأ يتبدى إفلاس سراب الأفكار القومية واليسارية التي ازدهرت خلال الخمسينيات والستينيات.

وهكذا أعلن الشاذلي عن إجراء انتخابات بلدية **(1988)**، تتبعها انتخابات برلمانية سنة **(1989)** من أجل بدء المسار الديمقراطي في الجزائر. وبدأت الأحزاب المتنوعة استعدادها لخوض تلك التجربة.

الباب الثاني

الانتخابات والانقلاب

مع إعطاء الضوء الأخضر لتشكيل الأحزاب، أُسست الجبهة الإسلامية للإنقاذ، من مجموعة من التيارات والكتل والشخصيات الإسلامية المستقلة المعروفة. ولم يبق بعد ذلك خارجها من مكونات الصحوة إلا جماعة الإخوان المسلمين (الدوليين) بزعامة محفوظ النحناح. وجماعة إسلامية أخرى تحمل فكر الإخوان عموما ولكنها مستقلة تعمل في الإطار الجزائري، وهي (جماعة النهضة الإسلامية)، التي تزعمها الشيخ (عبدالله جاب الله).

انفردت (الجبهة الإسلامية للإنقاذ) بطرح صريح ومتميز في مفهومها عن الديمقراطية، وكانوا يصرحون بأنهم يسلكون منهج الديمقراطية لتأكدهم من فوزهم الكاسح واختيار الشارع لهم، وأنهم سيفوزون بأغلبية ساحقة تمكنهم من الفوز برئاسة الجمهورية، وبأغلبية ساحقة في البرلمان حيث سيطرحون مشروع إلغاء الديمقراطية والحكم بالشريعة الإسلامية. مع أن الشيخ (عباسي مدني) حفظه الله، كان أكثر دبلوماسية و (براغماتية)، بحكم تاريخه وتجربته، وكان هذا يبرز تناقضًا في التصريحات، حتى في خطابين متتاليين لشيخي الجبهة في مهرجان أو مؤتمر واحد أحيانا. وقد أدى الكشف عن تكتيكهم وقناعاتهم هذه في رضا عموم أوساط الإسلاميين عنهم بما فيهم الأصوليين والسلفيين، وفعلًا يمكن اعتبار الطرح الديمقراطي للإنقاذ أقرب الطروحات إلى المشروعية بشكل عام. ولكنه أعطى الذرائع القوية لمن عصف بتجربتهم ونصرهم الديمقراطي، أن يقولوا إن (الإنقاذ) لا تؤمن بالديمقراطية إلا من

أجل إلغائها.

وفيما يتعلق بالإخوان المسلمين -فرع التنظيم الدولي في الجزائر- وكان يرأسهم (محفوظ النحناح)، الذي أطلق على حزبه اسم (حركة مجتمع السلم)، فقد أبَوا الدخول تحت مظلة جبهة الإنقاذ، وبقي (النحناح) مناوئًا لها طوال بقية حياته رغم محنتها. وشن عليها وعلى المجاهدين للحكومة هجومًا ضاريًا.

أما الإخوان المسلمون المحليون -وهم حزب النهضة الإسلامية- فقد كان فكرهم مزيجًا من فكر الإخوان وفكر الصحوة الإسلامية الجزائرية المحلية. وكان مناوئا لجبهة الإنقاذ والجهاديين ولكن بأسلوب اللف والدوران بلا مواجهة، وتحول مع الوقت بفعل الضغوط إلى مزيج من الفكر الإسلامي والوطني والليبرالي الديمقراطي.

وكان هناك السلفيون التقليديون الذين كانت شريحة كبيرة منهم على قواعد (الفكر الجامي المدخلي) الذي يستمد انحرافاته من علماء السعودية الرسميين، وكان كثير منهم يؤيدون السلطة الجزائرية الرسمية ضد الجهاديين والإنقاذيين وباقي طيف الصحوة الإسلامية.

هذا غير الشباب السلفيين المتشددين الذين شكل بعضهم -كما بلغني- حركة سُميت باسم سلفية العاصمة (الجزائر). وكانوا يسمون أنفسهم (جماعة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر). وقد تفشت فيهم منذ البداية أفكار تتراوح بين التزمت والتكفير والجهل في الدين والدنيا. وقد ناوأ أكثر هؤلاء المشروع الديمقراطي للإسلاميين منذ البداية.

وبعض الذين كانوا مع الشيخ (مصطفى بو يعلي) وحملوا فكرًا جهاديًّا، لم يرو الدخول في جبهة الإنقاذ، لمنهجها الديمقراطي، وتزعمهم (عبد الحق العيايدة) فرج الله عنه.

وكان عدة مئات من الشباب الجزائري، قد نفر للجهاد في أفغانستان، وسرعان ما أثبتوا كما هو معروف عنهم أنهم من أشد المجاهدين بأسا وشجاعة. وبرز شاب فاضل حافظ لكتاب الله، عرف باسم (القاري سعيد)، كواحد من أبرز قيادات الأخوة الجزائريين. وبدأ تنظيم ما عرف فيما بعد باسم (الأفغان الجزائريين)، وقد ربطني بالرجل خلال تلك الفترة وما بعدها صداقة وتجاورنا في السكن في بيشاور مما مكنني من الإطلاع على تلك التجربة، وقد حدثني - رحمه الله- عن طموحاته بتشكيل تنظيم جهادي للعمل في الجزائر بعد الفراغ من الجهاد الأفغاني في عدة مناسبات. ولم يكن المشروع مستعجلًا، وإنما كانت أهدافه في إطار التدريب التنظيم والإعداد.

وقد تعددت أيضًا القوى العلمانية الناشئة بعد حرية الأحزاب، وكان أبرزها: حزب جبهة القوى الاشتراكية، الذي سير المظاهرات بعد فوز (الإنقاذ) يندد بها ويخوف الحكومة والغرب من زحف الأصولية. وحزب التجمع من أجل الثقافة والديمقراطية، وهو حزب شديد العداء للإسلاميين ينادي بالحل الاستئصالي لهم. والحزب الشيوعي الذي تبنى الطرح الديمقراطي.

الانتخابات:

مع انصرام الانتخابات البلدية، تبين أن الجهة الإسلامية للإنقاذ، قد سحقت أقوى الأحزاب السياسية العلمانية في الجزائر، وهو حزب السلطة! (حزب جبهة التحرير الوطني)، وأن الأحزاب العلمانية حديثة التشكيل لم تحصل إلا على الفتات. وتولت بذلك جبهة الإنقاذ معظم بلديات الجزائر، وبدأ عناصرها في خدمة الناس بروح طيبة وإخلاص افتقدتها الجزائر منذ عهود طويلة، مما رفع في أسهم الجبهة شعبيا وأهلها للنصر التالي.

تمخض الدور الأول عن فوز الجبهة بأغلبية ساحقة، وبدا أن ذلك سيمكنها خلال الشوط الثاني من الدورة الإكمالية من الأغلبية الساحقة، إلى تأهلها لتشكيل الحكومة

منفردة، و الترشح بذلك لرئاسة الدولة!

وضربت نواقيس الخطر في مشارق الأرض ومغاربها. وأعلنت الدول الصليبية الكبرى عن استعدادها للتدخل لقطع الطريق على الإسلاميين من الوصول للسلطة.

الانقلاب:

وحصل الانقلاب وجاء العسكر بجنرال سابق هو (محمد بوضياف) ليتولى رئاسة الدولة. واعتُقلت قيادات الجبهة الإسلامية للإنقاذ وأودعت السجون، وقُمعت المظاهرات بالعنف، وكان هذا سبب بداية الانتفاضة الجهادية المعاصرة في الجزائر.

ورحبت فرنسا والغرب بالانقلابيين الذين خططوا لهم ودعموهم، لينقضوا معهم على نتائج هذه الكذبة الكبرى التي يسمونها (ديمقراطية).

الباب الثالث

نشأة الجماعة الإسلامية المسلحة والجيش الإسلامي للإنقاذ

وسير الأحداث خلال الفترة (1991- 1996)

بُعيد الانقلاب العسكري بقليل لاذ عشرات من الشباب بالجبال، وبدؤوا يبحثون عن السلاح ويعدون لمواجهة الحكومة العسكرية. ثم ما لبثوا وبسرعة كبيرة، أن بدؤوا الصدام المسلح مع الحكومة.

أدت حركة الاعتصام الكبير في الجزائر العاصمة، والذي دعت له جبهة الإنقاذ، إلى مفاجئة الجميع باعتقال زعيمي الجبهة وشيخيها الكبيرين (عباسي مدني وعلى بلحاج) بشكل مفاجئ، دونما أي مقاومة! فيما كانا يقودان اعتصاما جمع مئات آلاف المتظاهرين! وكان هذا صدمة ومفاجأة للجميع.

وسمعت من البعض فيما بعد وأنا أتحرى تلك القضية أن بعض أعضاء مجلس شورى جبهة الإنقاذ، قد خانوا الأمانة ولم ينفذوا الأوامر التي أرسلها إليهم الشيخ عباسي لترتيب المواجهة- والله أعلم بذلك - وكنت أحتفظ في ملفاتي المفقودة ببعض التفاصيل والأسماء عن تلك المرحلة ولكنها ليست عندي الآن.

وهكذا بقيت جبهة الإنقاذ بلا رأس، وعادت مكوناتها الأساسية للعمل بصورة غير مركزية. وبرز الشيوخ (عبد القادر شبوطي وعبد الرزاق رجام وسعيد مخلوفي و محمد السعيد) -رحمهم الله جميعا - كرؤوس لكتل مقاومة مسلحة للحكومة في العاصمة

والجبال من حولها. وعمت الفوضى السياسية والأعمال المسلحة البلاد، وبدت نذر حرب أهلية طاحنة ما لبثت أن اشتعلت بضراوة. وقتل المجاهدون الرئيس الجديد (بوضياف) الذي جاء به الانقلابيون لتصل الفوضى والصدامات المسلحة إلى ذروتها.

أحس الأفغان العرب الجزائريون في أفغانستان بأن دورهم قد حان. ونزل (قاري سعيد) رحمه الله إلى الجزائر بعيد الانقلاب ومكث فيها زهاء شهر، ورتب أمور إخوانه في أفغانستان على عجل، ثم عاد إلى الجزائر. وهاتف نائبه في بيشاور ليخبره بقيام ذلك الجمع الذي سعوا له، وأنهم أسموه (الجماعة الإسلامية المسلحة)، وكان ذلك في أوائل **(1991)** فيما أذكر.

انشق جزء كبير من مجلس شورى جبهة الإنقاذ، وشكل قيادة تفاوضت وتعاونت مع الحكومة العسكرية. ورفض آخرون من قيادات الجبهة ذلك وشكّلوا (الجيش الإسلامي للإنقاذ).

سيطرت أخبار الجهاد في الجزائر على عناوين الأخبار ووسائل الإعلام خلال تلك الفترة، وبرز اسم (الجماعة الإسلامية المسلحة) كأهم وأبرز التجمعات العاملة عسكريا في مواجهة الحكومة العسكرية. وتصاعدت حدة العمليات العسكرية. واعتقل (القاري سعيد) في إحدى الهجمات الكبرى على قيادة القوات البحرية في الجزائر العاصمة. ثم فر مع أكثر من **(700)** سجين من سجن الجزائر العاصمة بعد عدة أشهر والتحقوا بالجبال. وروى بعضهم -والله أعلم بالحقيقة- أن الاستخبارات الجزائرية سهلت عملية الهروب تلك لزرع عشرات الجواسيس وسط المجاهدين باعتبارهم فروا معهم! وتابع القاري سعيد جهوده في توحيد الفصائل المقاتلة من جميع الفرقاء. ثم قتل في ظروف غامضة رحمه الله أواخر **(1994)**. وفي هذه الفترة كان عنف الدولة كبيرا، ووصل لحد اغتيال مئات السجناء السياسيين من جبهة الإنقاذ ومؤيديها في سجن (سركاجي). أحد سجون العاصمة الجزائرية في واقعة واحدة!

مطلع (1993) كانت كافة الأصوات المؤيدة للجهاد في الجزائر تنادي المجاهدين بتوحيد الصفوف. وفعلًا أدت جهود كبيرة إلى حصول تلك الوحدة، وتولى (أبو عبد الله أحمد) القيادة الموحدة. ثم فوجئ الجميع برفض أمير جيش الإنقاذ (مدني مرزاق) الوحدة ومعارضتها، ولكن عشرات الجماعات دخلت الوحدة وصارت الجماعة الإسلامية المسلحة تمثل أكثر من (95%) من المجاهدين المسلحين الذي صار عددهم بعشرات الآلاف مع حلول (1994) كما قيل.

قُتل (أبو عبدالله أحمد) هو الآخر في ظروف غامضة. وتولى (أبو عبد الرحمن أمين) قيادة الجماعة، ومع توليه بدأت بوادر تغير في منحى السياسات والبيانات والعمليات، ومن ذلك كثرة البيانات الصادرة عن الجماعة، وتصعيد المواجهة مع الشرائح المدنية والاجتماعية ذات العلاقة مع هيكل الدولة أو السلطة وتوعدها بالقتل، مثل أجهزة الإعلام، بدءًا من الوزير ووصولًا إلى باعة الجرائد في الشارع. ومثل قطاع التعليم كذلك وصولًا للأساتذة والمدارس والطلاب، وكذلك وزارة النفط وصولًا للعمال الذين يملؤون السيارات بالبترول! وهكذا. هذا غير التجرؤ على إصدار الفتاوى باستحلال قتل النساء والأطفال من أسر العاملين في أجهزة الدولة. وتصعيد المواجهة مع المليشيات المدنية المرتبطة بالحكومة واتخاذها هدفًا أساسيًّا. وارتفاع لهجة التكفير في الخطاب العام. وغير ذلك من هذه التوجهات الخرقاء.

خلال سنة (1995)، تداعت قيادات الجبهة الإسلامية للإنقاذ اللاجئة في الخارج، وقيادات الأحزاب السياسية الإسلامية والعلمانية وحتى الشيوعية إلى مؤتمر برعاية الفاتيكان في روما لتشكيل تحالف سياسي، يعرض حل أزمة الجزائر سياسيا، وأصدر المؤتمرون بيانا يدعو لحل الأزمة سياسيا ويدين العنف وينادي بالديمقراطية والعودة لمسارها!

وأواخر سنة (1995) تجرأ أبو عبد الرحمن أمين وقياداته المنحرفة التي تدرجت في الإجرام على اغتيال الشيخ محمد السعيد والمجاهد عبدالوهاب العمارة وغيرهما من

المجاهدين، بدعوى تحضيرهم للانقلاب على قيادته، وبدعوى الحفاظ على الهوية السلفية للجماعة بزعمهم، ومن هناك بدأت حقيقة الانحرافات عن مسار الجماعة تتكشف. ثم أتبع أبو عبدالرحمن أمين تلك الجريمة بإصدار كتاب بعنوان (هداية رب العالمين) على أنه (منهج الجماعة الإسلامية المسلحة). وقد حمل الكتاب من فنون الجهل، وألوان التطرف والتكفير، وقواعد الإجرام وقتل الأبرياء. مما جزم بالهوية المنحرفة الجديدة للجماعة في عهد أميرها هذا. ووضحت أبعاد الكارثة التي حلت بقيادة الجماعة المسلحة.

ثم أتبع عبد الرحمن أمين ذلك بتوجيه مقاتليه إلى المجازر الجماعية في المدنيين في القرى المجاورة لهم بدعوى أنهم انخرطوا في المليشيات الحكومية، فكفرهم واستباح قتلهم وسبي نسائهم على أنهم مرتدين!

استغلت أجهزة الاستخبارات الجزائرية هذه الأجواء -التي تكشف فيما بعد أنها هي التي سعت إليها وأوجدتها- ودسّت العملاء في قيادة الجماعة التي ربما كان (أمين) واحدا منهم. وأتبعت الحكومة ذلك بتنظيم سلسلة من المجازر المروعة في المدنيين ولم توقر عجوزًا ولا امرأة ولا طفلًا، في تلك المجازر الوحشية التي جرت خلال **(1996-1997)**، حيث شهدت الجزائر أهوالا وبحورا من الدماء وصلت إلى قتل المصلين في رمضان وهم ينصرفون من أبواب المساجد بدعوى أنهم كانوا قد شاركوا في الإنتخابات فارتدوا بذلك! وكانت أكبر المجازر تجري في المناطق المعروفة بنجاح جبهة الإنقاذ فيها في الإنتخابات السالفة.

مع تشرذم المجاهدين وتقسمهم، وبعد انفضاض الناس عنهم وزهدهم بالمشروع الجهادي بل والإسلامي. وصلت المخططات الاستخبارات الجزائرية والخارجية إلى مبتغاها من سيناريو المجازر الذي خططت له. فأطلقت برنامجا للاستسلام، بدعوى العفو عن المسلحين الذين يلقون سلاحهم. وكان جيش الإنقاذ بقيادة (مدني مرزاق) أول المستجيبين لما عرف بنداء (الوئام الوطني). وتبرع عدد من علماء المسلمين في

الخارج من أمثال ابن باز وابن عثمين والألباني، ليدعموا نداء الدولة للاستسلام، وخرج الألباني بآخر فتاويه قبل أن يتوفى سنة **(2000)**، ليعلن أن أحداث الجزائر أكبر شاهد على ما ذهب إليه من قوله: "إن الخروج على الحكام في هذا الزمان، هو في حقيقته خروج على الإسلام ذاته"!

واختلط الحابل بالنابل في ساحة الصحوة الإسلامية كلها بسبب التجربة الجهادية الجزائرية. لتصبح شاهدا لكل من يريد أن يدلل على رأيه في فشل خيار الجهاد! وليصبح النموذج عبرة لمن يعتبر. بعد أن نجحت الاستخبارات الجزائرية ومن ساعدها من المخابرات العربية والخارجية، ومشاركة حثيثة من وسائل الإعلام العربي بهدم الحاجز بين مفاهيم الجهاد وبين أفكار التكفير والإجرام والمجازر وحمامات الدم!

خلال عام **1998** وما بعدها تتابعت الأحداث في الجزائر وكنت قد غادرت (لندن) إلى أفغانستان، حيث لا يمكن مواكبة الأخبار والأحداث كما يجب في ظل عزلة شبه تامة عن وسائل الإعلام، بالإضافة إلى ابتعادي عن ملف تلك القضية ومتاهاتها بسبب الدوار العظيم الذي تسببت لي به.

وبدا أن الغالبية الساحقة من المسلحين والمجاهدين قد نزلوا من الجبال بفعل ما سمي بمشروع الوئام الوطني، وبقيت مجموعات هنا وهناك في الجزائر تريد متابعة المواجهة مع النظام الذي خرج يباهي بانتصار باهر علي الإسلاميين والجهاديين.

مطلع **2004** غادر الشيخ عباسي مدني -حفظه الله- الجزائر واستقر في قطر، بعد أن بقي في الإقامة الجبرية في بيته إثر الإفراج عنه عدة سنوات. وعلى قناة الجزيرة، أعلن الشيخ عن إطلاق مبادرة لإنهاء الأوضاع المأسوية في الجزائر بحيث يصطلح جميع الجزائريين، ولم يُعطِ تفاصيل المبادرة ووعد بإعلانها بعد تلقي جواب الحكومة عليها.

في **(مارس 2004)** حصلت الانتخابات الرئاسية في الجزائر، وانشق الحزب الحاكم (حزب جبهة التحرير الوطني) إلى فريقين، يرأس أحدهما الرئيس الجزائري (عبدالعزيز بوتفليقة)، وينافسه رئيس وزرائه الأسبق (بن فليس). وكان على رأس برنامج بوتفليقة تطوير مشروع المصالحة الوطنية الذي كان قد بدأه، وأسفر تأييد الشارع الجزائري للمصالحة وتشوقه لإنهاء الأزمة والتأييد الصريح للجبهة الإسلامية للإنقاذ له عن فوزه الكاسح، وتمديد رئاسته على الجزائر. وما زال الجميع في ترقب لمشاريعه ومبادرة الشيخ عباسي لإنهاء فصول أهوال ما جرى في الجزائر منذ دمر العسكر نتائج انتخابات **1990**.

وبعد فوز بوتفليقة، وفي هذه الأيام **(مايو 2004)** وبينما كنت أخط هذه الشهادة، تناقلت وكالات الأنباء أخبار نزول بعض المقاتلين من أعضاء الجماعة السلفية للدعوة والقتال من الجبال واستسلامهم للدولة تحت قانون الوئام المدني والمصالحة الوطنية، فيما تحفظ آخرون منهم على ذلك.

الباب الرابع

خلاصة تجربتي وعلاقتي بتجربة الجهاد في الجزائر (1989-1996)

بعد وصولي لندن وانهماكي في العمل مع خلية لندن الجزائرية، سرعان ما اكتشفت عددًا من الحقائق التي شكلت لي صدمة كبيرة منذ الأيام الأولى؛ فقد تميز عملهم بالفوضى، وانعدام الحس الأمني تمامًا، كما لاحظت تداخلًا حركيًّا بين تلك الخلية (التي من المفترض أنها إعلامية) مع خلايا أخرى في بريطانيا وأوربا، تقوم بجهود تتعدى المجال الإعلامي. وكانت إدارتهم للأمور يكتنفها كثير من العبثية، خاصة وأن معظم عمل تلك المجموعة الصغيرة من الأفغان العرب الجزائريين قد ارتكز إلى عدد من الأنصار والمؤيدين من الشباب الذين طلبوا اللجوء السياسي في بريطانيا، أو من قدماء أبناء الجالية الجزائرية والعربية فيها، وكان جلهم من الأغرار حديثي العهد بالالتزام الديني، ولا يعرفون شيئًا عن ضوابط مثل تلك الحركة وأصولها وعواقبها. فضلًا عن ضحالة مستوى معظمهم في مختلف مناحي المعرفة الدينية والدنيوية. حتى أني فكرت فعليًّا في تركهم والعودة من حيث أتيت.

فيما عدت لترتيب أعمالي التجارية في أسبانيا تمهيدًا للتفرغ لقضية الجهاد الجزائري. وصل لندن رجل فلسطيني يحمل الجنسية الأردنية، و يدعى (عمر أبو عمر)، وقد عرف باسم الشيخ (أبو قتادة الفلسطيني). وتحصل خلال فترة وجيزة على اللجوء السياسي فيها. واتخذ من إحدى القاعات في لندن مصلى للجمعة، وبدأ فيه نشاطًا خطابيًّا ودعويًّا. ولما كانت بضاعة الجهاد هي الرائجة في أوساط الصحوة آنذاك ولاسيما قضية الجزائر، فاتخذ أبو قتادة منها مسألته المحورية. حيث صار ذلك المصلى مكانًا لتوزيع المنشورات، وجمع التبرعات، والتقاء الجهاديين والمتحمسين لقضاياهم. ونقطة رصد للإسلاميين من قبل الاستخبارات البريطانية وغيرها.

وببساطة وسهولة صار (أبو قتادة الفلسطيني) المرجع الديني لأولئك الشباب الجزائريين وغيرهم من الأفغان العرب ومن التحق بمدرستهم في لندن. ثم في غيرها من العواصم الأوربية بعد فترة بسبب سهولة الاتصالات. ورغم أن أبا قتادة لم يكن من الجهاديين، ولم يكن له أي ماض في ذلك الميدان، ولكن خلفيته السلفية وحماسه الخطابي وتبنيه لأفكار الجهاديين، والتعطش في أوساط الجهاديين لأي عالم أو طالب علم يدعم منهجهم ويسد حاجتهم، قدمه لذلك الوسط بصفته شيخًا ومرجعا جهاديًا. خاصة وأن المجموعة الإدارية الصغيرة للجزائريين كانت من الذين اتخذوا من المدرسة السلفية منهجًا لهم وكانوا من المتعصبين جدًا - كما كان حاله - حتى لجزئيات ذلك الاختيار. وكان هذا قاسمًا مشتركًا بينهم وبين أبي قتادة.

ولكن سرعان ما انكشف أمر تلك الخلية، تماما كما توقعت وحذرتهم من أن العمل الحركي السري الذي مارسوه عبر أكثر من سنة ونصف سُينسف بسبب ما أدخلوا عليه من التمدد نحو أعمال الدعوة والإعلام. وللأسف فقد حوت تلك المجموعة كوادر ممتازة.

ما يهمني من ذلك، أن مشروع نزولي قد ضاعت فرصته الأساسية، وحزنت في حينها، لأحمد الله على ذلك فيما بعد، إذ لم يمر إلا وقت قصير بعد ذلك، حتى قُتل أمير الجماعة الراحل (أبو عبد الله أحمد) الذي قصدت النزول إليه، ليخلفه ذلك البلاء المبين (أبو عبد الرحمن أمين).

بدأ المسؤول عن خلية لندن يماطلني في مشروع النزول للجزائر، وبلّغني طلب أميرهم الجديد أن نهتم بمعاونتهم في مجال الإعلام، ولم يصارحني إلا بعد مدة طويلة، بأن (أمين) قد أبلغه منذ البداية إلغاء عملية نزولنا، ورفض نزول كافة الجهاديين من غير الجزائريين. وعلمت فيما بعد من بعض المجاهدين الذين نجوا وخرجوا من تلك المأساة. أن كتاباتي ومنها كتاب (التجربة الجهادية في سوريا)، وبعض محاضراتي من تراث أيام أفغانستان، كانت معتمدة في منهاج التربية في (الجماعة الإسلامية

المسلحة) منذ قيامها، بالإضافة لكتب (سيد قطب) - رحمه الله - وأدبيات جماعة الجهاد المصرية. ولكن أبا عبد الرحمن أمين أصدر أمرًا بمنعها.جمع كل تلك الكتب وإحراقها، ومنع تداولها باعتباره تقوم على (الفكر)، و(الفكر) عندهم بدعة وصل حكمها لحد القتل سياسة! كما فعلوا مع بعض المجاهدين من الجزائر وغيرها! كما أصدر (أمين) بعد مدة رسالة يرد فيها على الدكتور (أيمن الظواهري) نصائحه المنهجية ويرد على أفكار(سيد قطب) رحمه الله. واعتبر (أمين) أفكار مدرستنا الفكرية الجهادية، بل مجمل أفكار الصحوة الإسلامية، بدعاً تخالف مبادئ (العقيدة السلفية) بحسب فهم ذلك الرجل، الذي كان يحمل أفكارا قريبة من الفكر السلفي الجامي المدخلي، ونظرته نحو مدارس الصحوة الإسلامية والمذاهب الإسلامية أيضًا، وقد جمع إلى ذلك الجهل والإجرام والقدرة، لأنه مسلح، وعلمت فيما بعد أنه كان (بائع دجاج) قبل توليه إمارة الجماعة الإسلامية المسلحة! وهذا أحد الألغاز في تلك المرحلة!

عندما درست مكونات الساحة الجزائرية قبل أن أنهمك فيها رأيت معطياتها تتشابه إلى حد بعيد مع تلك التجربة المريرة التي خضناها في سوريا، وتوقعت أن تتكرر نفس المراحل و الإشكالات، وحددت بناء على ذلك، الصف الذي يجب أن أقف معه دينا وعقلا وشرفا.

لقد كانت صورة متكاملة للتركيبة السياسية في بلاد العالم العربي والإسلامي، مع خصوصيات جزائرية بالطبع. وكان من أهم تلك الخصوصيات البصمة الجزائرية في الشراسة والعنف عند الغالبية. فالجهاديون شجعان شرسون في أدائهم، والديمقراطيون عنيفون في تعصبهم لديمقراطيتهم. والسلفيون متشددون في سلفيتهم، والتكفيريون قساة مجرمون في مجازرهم. والسلطة المارقة جمعت الشر من أقطاره بقسوة وفظاعة فاقت بها مردة الجن والشياطين في تلك الممارسات البالغة القسوة والشناعة!

وبناء على معطيات ساحة كهذه، وعلى تجارب الجهاديين السالفة، وبالمقارنة مع

تجارب عالمية ماضية، توقعت طرفا كبيرا مما سيجري. وفعلا حصل معظم المتوقع؛ فقد أصرت قيادة الإنقاذ على الاستمرار في الجري وراء السراب الديمقراطي، رغم الانقلاب! وفوتت بذلك قيادتها الفرصة التاريخية الحاسمة بعد الإضراب العام الهائل في الجزائر العاصمة، إذ كان عليها أن تسير بالجموع الغاضبة التي جاءت بمئات الآلاف، ترفع شعار الجهاد لتحقيق الحلم الإسلامي، فكان عليها أن تسير بهم للمواجهة والزحف نحو مراكز رئاسة الدولة وإكمال الإنتفاضة الشعبية إلى آخرها.

كانت المسألة تحتاج مبادرة على الطريقة الخمينية. وكان ثمن ذلك من عشرات آلاف الشهداء رغم فداحته، أقل من ثمن حمامات الدم التي أقدمت على صناعتها السلطة العسكرية، فضلًا عن أن ذلك الثمن بديهي في أي انقلاب ثوري كالذي دعوا له. وكان على قيادة الإنقاذ أن تتوقع أن تباغتها السلطة العسكرية فتتوارى لتقود مرحلة المواجهة التي يتوقعها أي عاقل، ولكن بدا أن قيادة الجبهة قد صدقت اللعبة الديمقراطية واغترت بكثرة أصوات الناخبين، وظنت أن ذلك يردع تلك الوحوش الكاسرة من ضباط الجيش والاستخبارات.

و الذي حصل أن مفرزة صغيرة من الدرك والأمن الجزائري اعتقلت الشيخ الجليل (عباسي مدني) من مكتبه بلا أدنى مقاومة! وُذكر أنه لما عرض عليه أنصاره الفرار من محاولة الاعتقال، أبى وقال إنه لن يهرب كاللصوص وسيواجههم لأنه يمثل شرعية أمة! وذهب معهم ولبث في السجن بضع سنين وخرج منذ وقت قصير فقط! وكرر نائبه الشيخ الفاضل المجاهد (علي بلحاج) الخطأ بصورة أكثر (درامية). فقد سعى إلى دار الإذاعة ليناظر العسكر في عدم مشروعية اعتقال من انتخبه الشعب! وفي شرعية الجبهة وأحقيتها لانتخاب الشعب لها بأكثرية ساحقة وبعدم مشروعية الانقلاب! فقد كان الشيخ يحمل كل الحق في جعبته وذهب ليناظر به العسكر! ولم يعد الشيخ من تلك المناظرة إلى الآن. وقد مضى على الحدث 41 عاما، قضى معظمها في السجن وما زال في الإقامة الجبرية! فرج الله عنه وتقبل منه. وكان للمسلمين في ذلك درس كبير لعلهم يفهمونه.

وبغياب رمزي الجبهة الأساسيين، **انقسمت قيادة الجبهة الإسلامية للإنقاذ أربعة أقسام:**

1 - قسم اعتقل مع الشيوخ.

2 - وقسم خان الجبهة وحالف السلطة.

3 - وقسم فر للخارج وحاز اللجوء السياسي وكون قيادة خارجية تتابع المزايدات في وسائل الإعلام وتدعي المشروعية الديمقراطية.

4 - وقسم رابع حمل السلاح وشكل (الجيش الإسلامي للإنقاذ) وصعد إلى الجبال.

وبدا واضحًا أن الطيف السياسي المعارض للحكومة بما فيه حزب السلطة (جبهة التحرير الوطني)، وحتى الأحزاب الصغيرة مثل الشيوعيين وغيرهم تسعى لركوب الموجة واستغلال أزمة السلطة العسكرية تحت ضربات المجاهدين من الجماعة المسلحة لقطف الثمار من خلال مبادرات سياسية عن طريق التحالف مع ممثلي الإنقاذ في الخارج. وبدا جليًّا أن الأنظمة العربية تساعد النظام الجزائري، وأن الجهات المعنية مباشرة بمكافحة الإرهاب الإسلامي كما اصطلحوا عليه تتعاون مباشرة معه، مثل مصر وسوريا وتونس والسعودية. وكانت بصمات الاستخبارات الفرنسية أوضح، وكذلك الدعم الدولي للحكومة العسكرية.

أما الجهاديون في لندن فكانوا يعتقدون أن بريطانيا ستسمح لهم بالنيل من السياسة الفرنسية الداعمة للنظام في الجزائر. وأن ذلك يدخل ضمن الصراع التاريخي بينهما، وهكذا بسطوا المسألة واعتقدوها بكل سذاجة.

ثم كانت جهودي وكتاباتي تجاه تجربة الجهاد في الجزائر هذه تنصب في

منحيين:

- **الأول:** إثبات أن الجهاد هو الحل للأزمة في الجزائر.

- **الثاني:** العمل على جمع صفوف المجاهدين المسلحين في الجزائر.

أما على صعيد ساحة العمل الإعلامي والسياسي الذي نقوم به في لندن لدعم الجهاد الجزائري وممارسة الدعاية للفكر الجهادي والدفاع عن القضايا الجهادية عموما، فقد كان واضحا لي أن البريطانيين يلعبون مع ساحة الصحوة الإسلامية في بلدهم لعبتهم الخاصة بذكاء وبرود إنكليزي تقليدي، فبدا لي أن بالإمكان الاستفادة من هامش جيد ومحدود زمنا، وأن نلعب لعبتنا الخاصة كجهاديين نمر بفترة انتقالية مضطربة حرجة، لنسابق الزمن بعيون مفتوحة جدا على مؤشرات قرب انتهاء ذلك الهامش، للتحول عنه في الوقت المناسب قبل فوات الأوان. وأن علينا أن نعرف ونحترم حدود الهامش، وأقصى ما يسمح به دون تجاوز خطوط حمراء بديهية، لكون بريطانيا تكون مع فرنسا جزءا من الاتحاد الأوربي. وكنت أدرك أنها لعبة خطرة ستكون مفيدة لنا في دفع التيار الجهادي مرحلة أخرى بعد مرحلة أفغانستان إن أحسنا الاستفادة منها، وأن أخطاءنا فيها قد تكون قاتلة. لقد كانت أشبه بمهمة من العمليات الخاصة الكوماندوز خلف خطوط العدو. ولكنها ذات طابع أمني وسياسي وإعلامي.

وأصبحتُ و(أبو قتادة) نُتناول في وسائل الإعلام العربية والعالمية، على أننا شيخا الجماعة الإسلامية المسلحة ومنظراها، ولأن أبا قتادة محتجز الآن في بريطانيا، فسأكتفي بالإشارة لما يتعلق بالأمور المنهجية.

لما عدت من أسبانيا إلى لندن ثانية للاستقرار فيها أواسط **1994**، نزلت في بيت (أبي قتادة الفلسطيني) ريثما أبحث عن منزل لي في لندن، ومكثت معه زهاء شهر. فوجدته مضيافا كريما اجتماعيا. كما رأيته حسن التربية والتعاهد لأهله وأولاده.

وكانت تلك المدة بالإضافة للعمل معا لفترة قصيرة أخرى في معاونة إدارة (نشرة الأنصار) والتحرير فيها، فترة كافية لأتعرف على منهج الرجل وفكره وطريقته في التعامل مع القضايا. ولأكتشف مدى التباعد بيني وبينه منهجًا وأسلوبًا وتجربة في مجال العمل والفكر الإسلامي.

كان أبو قتادة من أتباع جماعة (التبليغ والدعوة) قبل أن يتحول إلى الفكر السلفي، فكان يحب الاجتماعات الواسعة، ويفتتح البيوت السرية الخاصة بالعمل، بالولائم الجماعية! ورغم ما يوفره هذا الأسلوب له من حميمية الأجواء وكثرة الأتباع، إلا أن إشكالاته الأمنية مسألة لا تخفى.

كان يتمتع بحافظة قوية وملكة استنباط عالية، وكان على قدر كبير من العلم الشرعي والثقافة الواسعة، كما كان كثير القراءة والمطالعة، ولديه مكتبة ضخمة متنوعة، وكان طموحا عالي الهمة.

ولكنه كان متعصبا للسلفية ومذهب أهل الحديث وأفكار الدعوة الوهابية، معاديًا للأشاعرة والمدارس العقدية الأخرى ضمن الدائرة الواسعة لأهل السنة، محاربًا للمذهبية، شديدًا جدًّا على المخالفين، قويًّا في المناظرة، عدوانيًّا شرسًا في النقاش والمحاورة، سليط العبارة، جريء الفتوى والأحكام، مفرط الثقة بنفسه، ضيق الصدر بالخلاف.

وكان شديد العداء لأكثر مدارس الصحوة الإسلامية المعاصرة ولاسيما الإخوانية المنهج، حادًّا في مواقفه العقدية، اشتملت قائمة المبتدعة عنده ومن يسميهم (أهل الضلال والأهواء) علي معظم المدارس الإسلامية.

ذهب أبو قتادة إلى بيشاور عام **(1992)**، بعد انتهاء الجهاد الأفغاني والعربي. و فيما كان جمع الأفغان العرب ينفرط تعرف (أبو قتادة الفلسطيني) على كثير من الجهاديين وتنظيماتهم واستهوته أفكارهم، وتحول من (السلفية العلمية) إلى (السلفية

الجهادية) التي كان عليها أكثر التيار الجهادي والأفغان العرب كما ذكرتُ في رسائل المقاومة. ولكونه على قدر كبير من العلم ولاسيما في المنهج السلفي والمدرسة الوهابية، التي راجت أفكارها لدى الجهاديين تلك الفترة. ولإفتقار الساحة الجهادية إلى العلماء وطلاب العلم كما هو معلوم، برز بسرعة وخلال مدة قصيرة، كأحد الوجوه العلمية ومصادر الفتوى لعناصر التيار الجهادي في بيشاور! ثم ما لبث أن ارتحل مع الراحلين عن بيشاور واستقر في لندن مطلع **1994**، وتحصل على اللجوء السياسي خلال مدة قصيرة قياسية، أثارت الدهشة والتساؤلات لدى البعض.

بهذه المواصفات المنهجية والمقومات الشخصية وانعدام الخبرة الحركية والتنظيمية والأمنية، اقتحم الشيخ (أبو قتادة الفلسطيني) ساحة القضية الجزائرية، وبالتالي النتائج التي ترتبت على ذلك عليه شخصيا وعلى القضية الجزائرية في الخارج.

ولقد بنى موقفه الذي نشره في (نشرة الأنصار) على تخيلاته وأحلامه بأن الصفوف قد تمايزت في الجزائر، صف أهل الإيمان الذي يحمل راية السلف والسلفية بقيادة (أبو عبد الرحمن أمين)، وصف الحكومة ومن أيدها إجمالا والذي يمثل راية المرتدين. وصف الإنقاذيين ومن يريدون العودة للبرلمان، وقد صرح وكتب جهارا بأنه يكفرهم عن بكرة أبيهم! ونشر في إحدى مقالاته في الأنصار، وقال بأن المدن والقرى الجزائرية قد تمايزت أيضا، فهي في هذا المعسكر أو ذاك. وقد أهدر بموجب ذلك دماء كل مكونات معسكر الردة ولاسيما الميليشيات القروية المسلحة من قبل الحكومة والتي تبين فيما بعد أن أكثرهم قد حمل السلاح ليدافع عن نفسه وعرضه ضد عدوان عصابات أمين وهجمات الاستخبارات والجيش باسمهم!

ولوح أبو قتادة في أكثر من مجلس بجواز سبي نساء هؤلاء المرتدين من الشعب الجزائري! ولم يكن أمامي إزاء ذلك الوضع إلا الانصراف إلى اهتمامات فكرية وإعلامية أخرى مكتفيا بالمساهمة بمقالاتي في نشرة الأنصار عن بُعد لقناعتي بوجوب الدفاع

عن تلك القضية. وكان تصاعد وتيرة الانحراف من الجماعة المسلحة، ومن نهج إدارة الأنصار وأبي قتادة يتزايد واخترنا أن نصمد ونسدد ونقارب، ولكن انحراف الجماعة كسر ظهر حلف الجهاديين.

كان أبو قتادة يشرف على نشرة الأنصار بشكل كبير، ويكتب في كل عدد في أكثر من مجال، ولكنها سرعان ما تحولت إلي مواضيع الصراع والتناقض بين المنهج والفكر السلفي، وغيره من مناهج الحركات والمذاهب الإسلامية من أهل السنة وغيرهم، وعبثًا حاولت وغيري أن نُفهمه أن هذه المعارك لا فائدة منها الآن، ولكن أي اعتراض على الشيخ السلفي الثائر كان محفوفا بوشم صاحبه بالبدعة، كونت وأمثالي بالنسبة لهم مجرد حركيين نُنظر في السياسة، ولم نسلم من فيروسات الإخوان -رغم كوننا من الجهاديين- ولا نفهم في مسائل العقيدة! كما وصمنا بذلك مرارا وحتى أمام صغار الشباب. ثم ما لبث وأعوانه أن أفتوا بأني من المبتدعة!

ولقد سببت لي كتاباتي المناهضة لاستئناف المسار الديمقراطي في الجزائر ودعم الجماعة المسلحة التي دخل فيها معظم القيادات والشيوخ المرموقين من جيش الإنقاذ، سبب لي عداوة رموز جبهة الإنقاذ في الخارج ولاسيما أنصارهم في لندن، وتعاملوا معي كواحد من مجموعة الأنصار.

وقد أحدثت بعض المسائل الشاذة التي قال بها أبو قتادة زلازلًا في أوساط الإسلاميين في لندن وخارجها، كفتواه في (جواز قتل النساء والأطفال) من أسر رجال الأمن والسلطة ردًا على أفعال تلك الأجهزة بأهالي المجاهدين. ولم تكن معظم تلك الآراء والفتاوى ابتداء من أبي قتادة - والحق يقال - وإنما من بيانات الجماعة وما تنسبه للجنتها الشرعية وتصدره بتوقيع أميرها. حيث كان أبو قتادة يسارع بدوره للتأصيل الشرعي لها. تماما كما يفعل علماء الأمراء والسلاطين في بلادنا عندما يسوغون شرعا بالأدلة ضلالات الأمراء والرؤساء و الملوك.

وجاء صيف **1995** وبعد العدد **120** فيما أذكر، وفيه داهمت قوات مكافحة الإرهاب البريطانية مقر (نشرة الأنصار)، واعتقلت بعض العاملين فيها وصادرت محتويات البيت الذي كان مستودعًا للفوضى والتسيب الأمني. وكانت الضغوط الفرنسية قد تزايدت على لندن بعد سلسلة التفجيرات التي قامت بها الجماعة المسلحة في فرنسا، وتتابعت من الجزائريين، ومن إدارة نشرة الأنصار ممارسات كثيرة لا تحترم وتقدر حدود الهامش الذي نجلس عليه في لندن. واضطررنا جميعا للتواري ووقف نشاطنا لفترة وجيزة.

ثم نصحت أبا قتادة ومن تبقى من أسرة الأنصار من الجزائريين بأن نستفيد من التجربة، وأفهمتهم أننا في حرب كر وفر، وقدمت لهم خطة للاستمرار تتضمن، العمل على إصدار نشرة جديدة، وتغيير مكان صدورها إلى إحدى الدول الإسكندنافية، وتوزيع العمل على أكثر من مكان. وأنذرتهم بأن العاصفة الأمنية قادمة، ولكن أبا قتادة رفض، ومنذ ذلك الحين صارت نشرة الأنصار (منذ العدد **121**) هي عمليًّا نشرة أبي قتادة ومنبرا لمعاركه السلفية المزعومة. وقررت عدم الكتابة معهم نهائيا.

ثم طفقت الوفود من الجهاديين تراجعني وتدعوني للعودة للكتابة، وصار أبو قتادة يعرّض بي وبأمثالي فيما يكتب في الأنصار عن المنهزمين والمتساقطين على طريق التضحيات لضعف عقيدتهم! وقررت أن أعطي فرصة للإصلاح، وكان قد بدأ يبرز (أبو وليد الفلسطيني)، وكان هو الآخر أحد الأفغان العرب، وقد قدم بريطانيا بعد أن استقر فترة في اليمن، وصار أحد كتاب الأنصار أيضا.

وكان قتل الغلاة للشيخ محمد السعيد وإخوانه -رحمه الله- ثم تبرير هذا وتسويغه من أبي قتادة وإدارة الأنصار في نشرتهم ، آخر المطاف معهم من جهتي ومن جهتهم. فقد تبين لي أن أمر الأنصار قد آل لمجموعة رعاع لا يقدرون تبعات ما يفعلون لا شرعا ولا سياسة ولا عقلا ولا أمنيا ولا على أي مقياس. وبالنسبة لهم كان أسهل شيء لديهم أن يرمونني بالجبن والتخاذل وفساد العقيدة وتنكب طريق السلفية!

بعد عدد أو عددين آخرين أتبعت الجماعة المسلحة ذلك بطامة تالية، وفاجعة جديدة؛ فقد أصدر أبو عبدالرحمن أمين المنهاج السياسي الشرعي للجماعة المسلحة في الجزائر، ممهورا باسمه وتوقيعه، وأسماه (هداية رب العالمين في منهج السلفيين وما يجب من العهد على المجاهدين). وزفّ أبو قتادة البشرى للمسلمين بهذا المنهج العظيم!

وقد اشتريت النشرة من على باب مصلى أبي قتادة حيث أنهم قاطعوني ولم يعودوا يرسلوها لي إلى البيت بكل إجلال واحترام كما قبلًا، وهذا دائما نهج هذه الشراذم من أهل الهوى، عندما توافقها على الحق الذي عندها تمجدك، ثم لما تنكر عليها العوج الذي عندها تهوي بك إلى أسفل سافلين.

ولما درست الكتيب الذي يحوي ذلك المنهج المزعوم، سجلت عليه من القراءة الأولى **(51)** ملاحظة، وحملتها إلى الاجتماع الطارئ الذي دعا إليه رموز الجهاديين في لندن، والذي حضره أبو وليد الفلسطيني، معاون أبي قتادة ونائبه في خطبة الجمعة في قاعة المصلى الشهير! وحضر إخوة كبار من تنظيم الجهاد والمقاتلة وغيرهم، وحضر كذلك أبو قتادة. فشن الحاضرون نقدًا لاذعًا للمنهج المعلن واقترحوا موقفا حازما من الجماعة ومساءلتها على انحرافاتها. وكم كانت دهشة الحاضرين كبيرة، عندما انضم أبو قتادة للجميع يتنقص ذلك المنهاج الذي قارنه قبل **24** ساعة فقط بكتابات ابن تيمية وابن حنبل! ولما أبدينا دهشتنا لهذا التناقض في يوم وليلة، حاول تبرير ذلك بوجوب نصرة الجماعة التي تحمل المنهج السلفي! ووعد بأنه سيوجه توبيخا وانتقادات في رسالة لأبي عبد الرحمن أمين، وانتهى ذلك اللقاء بشجار عنيف بيني وبينه. وفعلًا كتب أبو قتادة بعد يومين رسالة من **7** صفحات دلل فيها على مواقع العوج في ذلك المنهج وأرسلها لعبد الرحمن أمين كما زعم، ووزعها في لندن على بعض الخواص! ولم يعممها كما فعل في مديح المنهج عبر الأنصار!

ومنذ ذلك الوقت أيقن كبار الجهاديين في لندن بعشرات القرائن أن ممارسات أبي

قتادة ومنهجه وكتاباته قد دخلت مرحلة التناقض والخبط، واختلفت تفسيراتهم عن الأسباب وراء ذلك. وبدأتُ مع نخبة من الجماعة المقاتلة وجماعة الجهاد المصرية العمل كل بطريقته للتحقيق فيما يجري في الجزائر. لعمل ما يمكن للمساهمة في وقف تلك الكارثة على المسلمين هناك، وعلى التيار الجهادي برمته من جراء إلصاق تلك الممارسات بالجهاد و الجهاديين.

فيما اندفع أبو قتادة ومعاونه العتيد آنذاك (أبو وليد الفلسطيني) لحمل لواء المزاودة والدفاع عن الراية السلفية للجهاد في الجزائر على حد زعمهم ووصفهم. وصدرت عنهما في هذا الإطار آراء وفتاوى وتصريحات في غاية العجب والعوج.

وتكفي مراجعة نشرة الأنصار خصوصا منذ العدد الذي تبنت فيه الجماعة جريمة قتل محمد السعيد (العدد **130** فيما أذكر)، وإلى (العدد**152**) وأظنه الأخير تقريبا وما حملته من أنباء قتل الأبرياء، تحت ذريعة معاونة الطاغوت! وقتل المجاهدين من جماعة جبل الأربعاء، وهم تلاميذ محمد السعيد تحت مسمى المبتدعة! وقتل غيرهم من المجاهدين في غرب الجزائر بدعوى خروجهم عن طاعة الأميرا! والتي وصلت في العدد (**147** إن لم تخني الذاكرة) لنقل خبر مفاده: "قتل أحد أبطال مجاهدي الجماعة لأمه وأبيه لأنهم زوجوا أخته من رجل يعمل مع ميليشيا الحكومة"! حيث اعتبر أبو قتادة في تعليقه على الخبر بأن هذا الفعل هو منهج الصحابة والرعيل الأول في قتل آبائهم الكفار!

أما (أبو الوليد الفلسطيني) الذي تلقب شيخًا أيضًا ولبس عمامة وبشتًا خليجيًّا بدوره وصار يسابق أبا قتادة، في الفتاوي الشاذة (ولكنه سنة **2000** أعلن تراجعه عن ذلك الفكر).

كما أن من الأمانة أن أقول -بحسب ما أعتقد- أن أبا قتادة رغم ما فعله بنفسه وبنا وبالقضية كلها، لم يكن أبدا كما زُعم مفتيا ابتداءا لأولئك السفاحين، وأنه وراء انحرافهم.

لقد كانت قيادة الجماعة المسلحة في الجزائر مجموعة من المنحرفين بذاتهم، وتولت الاستخبارات الجزائرية إكمال الانحراف وتوظيفه. ولكن دور أبي قتادة كان دور المفتي المسوغ للانحراف بعد حصوله لجمهورهم في الخارج. ولم يكن له أثر في حدود علمي في داخل الجزائر. فكان حاله مثل كل علماء الأمراء والسلاطين. فهم لا يدلون الملوك على الضلال في الغالب، وإنما يبررون ضلالهم.

أما ما يتعلق بما ورد في مقالات أبي قتادة، فنكتفي هنا بالتعليق على كلامه عن الديمقراطية لضرب المثل على شططه؛ فأقول رغم أني كما كافة من أعلم من قادة التيار الجهادي وعلمائه ومفكريه وجل قواعده، نعتقد أن الديمقراطية دين وفلسفة سياسية تتناقض جملة وتفصيلا مع معتقد دين الإسلام، إلا أني لا أعتقد أن هذا حكم يعرفه اليوم القاصي والداني كما زعم أبو قتادة في إحدى مقالاته، وكيف يعرفه الناس وكبريات العمائم وعظماء الدعاة يزعمون للناس أن الديمقراطية لا تنافي الإسلام! وإني والأكثرية الساحقة ممن أعرف من الجهاديين، نعتقد خطأ من مارسها، وإثمه، وأنه غير مأجور في اجتهاده بل إنه موزور والله أعلم. ولكن لا نعتقد كفر الإسلاميين الذين يمارسونها تأولًا من أجل الوصول لتحكيم الشريعة كما يظنون ويحلمون، ونعتقد أنهم متأولون لحالة الاستضعاف التي يمر بها المسلمون، وأنهم يتأولون تحقيق ما يمكن من مصالح المسلمين والدفاع عنهم، فلا نكفرهم كما يظهر في كلام أبي قتادة التكفير الصريح لجماعة الإنقاذ، وللجيش الإسلامي للإنقاذ الذين كانوا يصرحون - وما زالوا - بأنهم يجاهدون لإعادة المسار الديمقراطي والبرلماني في الجزائر وهم واثقون من أغلبيتهم وأن هذا سيمكنهم من الحكم بالشريعة!

فالأمر للدعوة والبيان والإيضاح وليس للتكفير، ناهيك عن الإفتاء بقتالهم! كما يذهب أبو قتادة فيما كتب للفتوى بقتال الإنقاذيين كمرتدين خارجين من الملة، ببدعتهم المكفرة، وأنهم يقاتلَون كطائفة ممتنعة! وكان هذا أحد أهم مصائد النظام الجزائري ومقاصده في أن يجر الفصائل المجاهدة له للإقتتال. وما أفتى به الشيخ العتيد يشكل فضلا عن شططه الشرعي، منتهى أمل العدو وما يسعى إليه، وليس هذا من السياسة

الشرعية في شيء، بل هو منتهى الجهل والحمق.

أعود فأقول، بدأت أعمل مع كبار الإخوة في لندن على ضرورة كشف تلك الجماعة المنحرفة والبراءة منهم، ودعوة المجاهدين للخروج عليهم في داخل الجزائر ووقف دعمهم من الخارج، ولكن أوساط الجهاديين، وحتى بعض كبارهم كانت تخشى على مسار الجهاد ذاته، وتفضل أسلوب نصيحتهم بالحجة الشرعية! وكنت أقول لهم وكذلك صاحبي من جماعة الجهاد، بأنكم ستنصحون المخابرات! إننا نتعامل مع استخبارات جزائرية ودولية في هذه المعركة!

ولكن ما عندي كان استنتاجات، وليس أدلة ملموسة قطعية، ولم يكن ممكنًا ولا مفيدًا أن أنفرد بإعلان رأيي وحدي، كان ذلك خطرا، ولا يؤدي إلى ردع المجرمين، وكنت مقتنعا بضرورة موقف حاسم من كل الجهاديين معا. وهذا ما وفق الله إليه؛ فقد استطاع بعض المجاهدين من (الجماعة الإسلامية المقاتلة بليبيا) الذين كانوا في الداخل الفرار من الجزائر، من بين مخالب الجماعة المسلحة، وكمائن الأمن الجزائري. ووصلوا بتوفيق الله بشبه معجزة إلى إخوانهم. ووصل أحدهم لندن، وكشفوا الحقيقة المرعبة المفزعة الفاجعة!

وفي نفس الوقت وصل بعض الفارين من أعضاء الجماعة المسلحة ذاتها إلى بعض دول أوربا فارين من قيادتهم المجرمة، واكتملت الأدلة وتأكدنا مما توصلنا إليه استنتاجا وما جمعنا من أخبار أهوالهم وعلمنا الحقيقة.

لقد قتلت قيادة الجماعة المسلحة وعصابة أبو عبد الرحمن أمين الشيخ محمد السعيد غيلة، لا محاكمة ولاهم يحزنون، مع عشرات من مرافقيه لأنه جاء يناقشهم في مصائبهم وضلالهم، كما قتلوا من قدروا عليه من المجاهدين الأفغان العرب وغيرهم بدعوى البدعة وتبني الفكر وعدم صحة العقيدة السلفية! ولمعارضتهم إياهم في أعمالهم ، كما قتلوا معظم المجاهدين الليبيين غدرا بدعوى بدعتهم

وبيعتهم لجماعتهم وأميرهم رغم وجودهم في سلطان الجماعة وأميرها الشرعي! ونفذوا أهوالا من المجازر في القرويين والمواطنين الجزائريين بدعاوى ممالأتهم للدولة وحملهم السلاح. وانتهكوا الأعراض ومارسوا الزنا و الاغتصاب بدعوى سبي نساء الطواغيت! إلى آخر تلك الفظائع المهولة!

واجتمعنا لنتخذ القرار الجماعي ونكتب البيانات، وتوليت بالنيابة عن المجموع الاتصال بجريدة (الحياة) لضمان نشرها دون اختصار أو تعديل، ووافق (كميل الطويل) على ذلك نيابة عن الصحيفة وتصرف بشهامة وشفافية. ووضع الإخوة الأدلة والشواهد والقرائن أمام أبي قتادة، وكان بين من قتلتهم الجماعة من الليبيين بعض مَن درس عنده في بيشاور؛ فانهار الشيخ السلفي العتيد! وجلس ولم تحمله رجلاه، وأخذ يبكي ويدعو على (أمين) وجماعته، وقال للأخوة بأنه لو وجد دليلا على شرب السم لفعل، ولكان أهون عليه من مواجهة الناس! وكتب لهم بيانًا ضمنه فكرتين: الأولى براءته من (أمين) وعصابته وإخراجهم من أهل السنة وسبهم. والفكرة الثانية من العجائب، حيث كتب في بيانه بأنه مع ذلك يتمسك بجميع مفردات مواقفه السابقة! ورضي الأخوة منه بالأولى، وكان مقررا أن يصدر (أبو الوليد الفلسطيني) بيانا ولكنه تقهقر واعتذر في النهاية بحجة أنه لم يكن مشهورا في واجهة القضية ولا داعي لبيانه، وأنه سيرسل رسالة نصيحة لقيادة الجماعة في الداخل! ولم أفهم السبب إلا بعد إصدار بياناتنا بيوم واحدا! فقد ذهب أنصار الجماعة وإدارة الأنصار إلى بيت أبي قتادة وناقشوه وشتموه، وقالوا له بأنه مبتدع؛ بل رأس المبتدعة! و يمموا وجههم شطر بيت أبي الوليد الفلسطيني، الذي فتح لهم بيته واحتل لديهم مكان الشيخ القديم الذي صار مبتدعا بعد أن بدّع أكثر أمة محمد صلى الله عليه وسلم ممن لم يكفرهم! وذهبت لأبشر أبو الوليد بنشر جريدة الحياة لبياناتنا التي قرأت عليه كلها قبل نشرها، فقال لي على باب بيته (أنتم لم تصدروا بيانات، أنتم أصدرتم طامات!) ورأيت فريق الزوار عنده وفهمت المسألة. لقد انتقل إلى مرتبة المرجع للجزائريين المؤيدين للجماعة المسلحة.

بعد فترة وجيزة قُتل أبو عبدالرحمن أمين، وسجد الأكثرون شكرًا لله؛ لأن الأمة استراحت من جزار الدجاج العنيد، ولأننا برئنا منه قبل موته. وتولى بعده سفاح أسوأ منه، سرعان ما جاهر بالضلال والإجرام، وصار أمير الجماعة (عنتر الزوابري) ولم يطل بأبي الوليد الوقت حتى انسحب من تلك المتاهة واعتزلها. ليتصدر لها شيخ آخر طالما خاض وأنصاره المشاجرات لاحتلال مكانة المرجع لتلك الفئة في لندن، وهكذا تولى الشيخ (أبو حمزة المصري) المرجعية وإصدار البيانات في تأييد الجماعة المسلحة والدفاع عن بياناتها وأعمالها، لكن لم يطل المقام به إذ أصدر الزوابري بيانا يكفر فيه الشعب الجزائري برمته صراحة ويشتمهم بأقذع الألفاظ السباب والفحش والفجور. فتراجع (أبو حمزة المصري) عن تأييدهم ونعَتهم بالخوارج والتكفير. وهكذا انفض الجميع عن دعم ذلك الكابوس.

وهكذا وقعت وأمثالي من الجهاديين بين نارين، نار أعداء الجهاد في الجزائر وغير الجزائر من الديمقراطيين الإسلاميين الذين يجرون وراء السراب، ويحاربوننا لأجله، ونار السقوط السريع في الإنحرافات من قبل من استولوا - بإشراف المخابرات - على قيادة القضية التي ننصرها. وعدم إمكانية التأكد الفوري مما يجري على بعد آلاف الكيلومترات.

وتسارعت الأمور، في مدة وجيزة، فما بين استيلاء أمين وبداية انحرافاته، وبين براءتنا منه وإعلان ذلك في الصحافة زهاء 8 أشهر. وهي فترة قياسية في استدراك مثل هذه المأساة.

وأؤكد على أمر بالغ الأهمية، وهو أني تنبهت للانحراف في وقت مبكر - بحكم الخبرة التنظيمية والتجارب الأمنية وذلك فضل الله - وطرحت بين أصحابنا فكرة الضغط الجدي على الجماعة لفهم أسباب ذلك الانحراف. و حَدَسْتُ مبكرا بإمكانية دخول الاستخبارات الجزائرية على خط قيادة الجماعة. ولولا أن أبا قتادة فرض على مؤيدي الجماعة في لندن جو الإرهاب الفكري، لكان بالإمكان أن يبكر موقفنا بالبراءة منهم أشهرا قبل ذلك. كما أن طيبة الأوسط الجهادية وترجيح العواطف وحسن الظن بالإخوة

كما كانوا يقولون، ساهم بالتأخير، بل إن بعض كبار الجهاديين طالبنا بتأخير البراءة منهم بعد أن جاءت الأدلة بجرائمهم وكتبنا البيانات، وقالوا: نرسل لهم رسالة نصيحة! فإن لم يستجيبوا أعلنا البيانات!

ولكن موقفي وبعض الإخوة كان صارما وحديا، وقلنا لهم بأننا لسنا من الحمق حتى ننصح الإستخبارات التي تقود الجماعة الآن كما تبين! وغلب رأينا على المجموعة وأعلنا البراءة من (أمين) ومجموعته والحمد لله.

ولو كان حال الإسلاميين في لندن أكثر انفتاحا علينا، ولو كان حال الشيوخ (أمثال الشيخ محمد سرور) أكثر رحمة وأبوية وأخلاقية كما يجب من أمثاله!، ولو كان حال الإنقاذيين أكثر اعتدالا وموضوعية، ولو كان حال أكثر أتباع الجهاديين أقل تأثرا بالعواطف والحماس والجهل، ولو أن أبا قتادة، والذين احتكروا منهج السلف وعقيدة السلف و بدعوا وضللوا كل من خالفهم، لو كان أكثر اعتدالا واستعدادا للحوار والعقل والمنطق، لربما سارت الأمور على غير ما سارت. ولكن كان أمر الله قدرا مقدورا.

الباب الخامس

خلاصة ما جرى في الجزائر

فاجأ الغرب الصليبي كما فاجأ حزب السلطة الطاغوتية الحاكمة نجاح مشروع الإسلاميين وفوز جبهة الإنقاذ؛ فقاموا بالانقلاب العسكري على الخيار الصريح لجمهور الأمة في الجزائر، أدي الانقلاب إلى وقوف جمهور الشعب الجزائري والأمة المسلمة، بل والرأي العام العالمي مع المجاهدين الذين حملوا السلاح لمقاتلة السلطة الطاغوتية التي عدت على خيار الأمة المشروع شرعا، والفائز حتى بموجب قوانينهم الوضعية.

لم يكن من خيار أمام تلك السلطة المجرمة في الجزائر، ومن وراءها من القوى الاستعمارية وخبرائها، للقضاء على المجاهدين بعد هزائم الحكومة عسكريا، إلا سحب السند الأساسي لانتصار المجاهدين. وهو التأييد الشعبي الساحق. وذلك بإقامة هوة وتنافر بين المجاهدين وجمهورهم.

وهكذا تفتقت عقولهم المجرمة عن (سيناريو) يتضمن تحويل فصائل من المجاهدين من استهداف السلطة الطاغوتية وأجهزة قمعها، ليستهدفوا بالقتل شرائح من الشعب عامة، ويبذروا بذور الفتنة والخلاف والتقاتل الداخلي بين المجاهدين أنفسهم.

وتمكنت الاستخبارات الجزائرية، مستفيدة من وجود شريحة متطرفة جاهلة في أوساط الصحوة الإسلامية والمجاهدين في الجزائر؛ فغذتها وقوتها، وجندت بعضها، وزرعت معها من يدفعها ويوجهها لتنفيذ ذلك المخطط. وروّج للمجازر الإعلام الرسمي.

ولما أتت الفتن الداخلية بين المجاهدين أكلها، وأدت عزلة المجاهدين عن الشعب

إلى ما تتوخاه السلطة، عزلت الدولة بعض الفصائل الجهادية المخلصة وركزت عليها حملاتها العسكرية لتصفيتها، تاركة المناطق التي يسيطر عليها المنحرفون المجرمون الذين اخترقتهم وتولت إدارتهم يتابعون إجرامهم ضد فصائل جهادية أخرى وضد المدنيين والقرويين. وهذا واضح في سير الأعمال العسكرية منذ أواسط **1996** وإلى أواسط **1997**.

بعد أن أوصلت الدولة المجاهدين إلى حالة الإنهاك العسكري والنفسي بفعل تلك الأحداث، طرحت مشروع الاستسلام لها تحت عنوان (الوئام المدني). وكان طبيعيا أن يتهافت عليه كثير من الفصائل فرارا من جحيم ما وصلت إليه أحوالهم الداخلية من الاقتتال. وسمعتهم التي تلطخت بالمجازر وأعمال الإجرام التي رتبت لها الاستخبارات واستخدمت فيها المنحرفين المجرمين. وبدأت الفصائل عملية الاستسلام الجماعي الذي كان أفضل الخيارات. بعد النجاح الباهر لبرنامج الاستخبارات الجزائرية ومن أعانها في هذا المخطط الجهنمي المجرم الذي راح ضحيته أكثر من **150** ألف مسلم في الجزائر.

بعد قتل أمين، وانعزال الفئة المجرمة بزعامة الزوابري الذي تابعت الاستخبارات استخدامه في مناطق محدودة. حاولت بعض الفصائل الجهادية التي اكتشفت المؤامرة وحاولت استئناف المسار وتصحيحه، ولكن الواقع، وعزلة الجهاديين عن الشعب نتيجة نجاح المخطط، ونتيجة عجزهم عن إعادة تلك الثقة للناس لأسباب شتى، ولدخول الوضع العالمي أواخر القرن الماضي ومطلع الحالي مجالات الحرب العالمية على الإرهاب كما أسموه، وانعكاس ذلك على الجهاديين عالميا، تراكمت الأسباب وتساقطت الفصائل الواحدة تلو الأخرى إما عسكريا وإما بالاستسلام. وهكذا أسدل الستار على ما يبدو أنه آخر فصول تلك التجربة المأساوية. وحسبنا الله ونعم الوكيل.

الباب السادس

خلاصة أهم دروس التجربة الجهادية المعاصرة في الجزائر

يمكن أن أوجز خلاصة دروس ما جرى في الجزائر -من وجهة نظري- في عناوين رئيسية بما يلي:

(1) ثبت أن الشعوب الإسلامية،قد اختارت وستختار مشروع الإسلاميين السياسي عندما تعطى حريتها.

(2) الحكومات الطاغوتية لن يسمحوا لأكثر الجماعات الإسلامية اعتدالا أن تصل إلى الحكم والسلطة، وأن الغرب سيدعمها من أجل ذلك، وأن على الإسلاميين عندما يسعون إلى حكم الإسلام أن يعلموا أن طريق ذلك في الجهاد المسلح وحده.

(3) التلاحم بين المجاهدين وشعبهم هو السند الأول لهم.

(4) أعداء الإسلام قد أدركوا هذه الحقيقة وصارت مستندهم الأول في تصفية قضايا الجهاد والمقاومة في العالم العربي والإسلامي.

(5) الأعداء قد اتكؤوا على ثغرات منهجية حقيقية موجودة في فكر الصحوة عامة وكثير من دعاتها.

(6) أثبتت الأنظمة أنها لا تتورع في حربها للجهاديين عن أي تصرف لا أخلاقي.

(7) ما أعلنه الغرب عندما قال سنضرب الإسلام المتطرف بالإسلام المعتدل، قد وُضع موضع التنفيذ، وهو اليوم على أشده.

(8) أن الثغرة الكبرى في التجارب الجهادية كلها هي غياب العلماء عن القيادة.

(9) أن زمن التجارب الجهادية القطرية المحلية قد انتهى، وصار أقصر الطرق إلى إسقاط الأنظمة، هو إسقاط مقومات هيمنة أمريكا وحلفائها على بلادنا.

وهكذا يتبين لنا أكبر الدروس وهو أن إلصاق تهمة التكفير والدموية والإجرام والجهل بالجهاديين اليوم، هي وسيلة الحكومات الطاغوتية وأعوانها المنافقين ومَن وراءها من قوى الكفر و الاستعمار، وذلك من أجل عزلهم عن شعوبهم وأمتهم، سعيا لإبعاد الأمة عن المعركة ثم هزيمتهم، وترك الأمة الإسلامية عزلاء من أي قدرة على مقاومة الحملات الصليبية اليهودية القائمة. فليع المجاهدون ذلك ولا يقدموا لهم الخدمات والدلائل وهم لا يعلمون، وليتق الله علماء الإسلام وقيادات الصحوة ودعاتها.

وأؤكد على قناعتي بأننا وجميع الإسلاميين في مركب واحد مستهدف من قبل الأعداء وأن ما شجر بيننا من الخلاف وسيلته الحوار.

وأكرر تذكيري ودعوتي للشباب المسلم العامل لدين الله في الجزائر، أن يتأملوا في دروس تجربتهم، أن يأخذوا منها العبر والدروس، وأن لا تكون سببا للعزوف عن العمل.

13 / ربيع الثاني / 1425

الموافق لـ 1 / 6 / 2004



هدية العدد 28 من مجلة كلمة حق ، نوفمبر 2019